المومن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المومن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا
يؤمنون بايات الله قوله بدل من الذين فان قلت قد يكون بدلا منه مع ان قوله انما يفترى
الكذب رد لقول قريش انما انت مفتر وهم ما كفروا بعد الايمان اجيب عنه بان قوله تعالى
من بعد ايمانه المراد منه من بعد تمكنه من الايمان كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فانه ليس معناه انهم اشتروا الضلالة بما لهم الهدى اذ لا
هدى لهم بل تمكنهم من الهدى والاعراض عن الايمان بعد التمكن منه على سبيل العناد و
التمرد ابلغ في ابطال ايمانهم كانه قيل انما يفترى الكذب من كفر بالله عنادا وتمردا
بعد تمكنه من الايمان الصحيح المسند الى الدليل القاطع والبرهان الساطع والمستثنى منه المكره
فلم يدخل تحت من افترى الكذب قوله او مبتدا خبره محذوف تقديره فعليه غضب حذف
لدلالة ما بعد من الثانية عليه وكذا ان كانت من شرطية حذف جوابها اعتمادا على دلالة
من الثانية عليه تقديره من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب اى فتح صدره ووسعه لقبول الكفر وطابت به نفسه واصل الشرح بسط
اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحت الكلام المشكل اى بسطته واظهرت معانيه
ومنه شرح الصدر وصدرا منصوب على التمييز والاصل شرح صدره فاسند
الفعل الى المضاف اليه والنصب صدرا على التمييز وقال الامام انتصب صدرا على انه
مفعول للشرح والتقدير ولكن شرح بالكفر صدره وحذف الضمير لانه لا يشكل بصدر غيره
اذ بشر لا يقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة يراد به المعرفة قوله استثناء متصل لان من
اكره على كلمة الكفر داخل في جنس من كفر لان الكفر لغة يعم القول والفعل قوله
وقلبه مطمئن جملة حالية اى الا من اكره في هذه الحالة ووجه الاستدراك في قوله
ولكن من شرح ان قوله الا من اكره في هذه الحالة يوهم ان المكره مطلقا اى
اجرى كلمة الكفر على لسانه من غير اعتقاد او مع اعتقاد والعياذ بالله مستثنى من
المستحقين الغضب والعذاب العظيم وقلبه مطمئن لا ينفي ذلك الوهم فاحتيج الى الاستدراك
لدفع ذلك الوهم روى عن مجاهد انه قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية رض اما الرسول فمنعه ابو طالب واما ابو بكر فمنعه قومه
واما الاخرون فالبسوا ادرع الحديد ثم اجلسوهم في الشمس فبلغ منهم الجهد بحر الحديد والشمس
واتاهم ابو جهل يشتمهم ويوبخهم ويشتم سمية ثم طعن بالحربة في فرجها وقال الاخرون ما
نالوهم غير بلال فانهم جعلوا يعذبونه ويقول احد احد حتى ملوه فتركوه فقال لعمار

عما وكلنا تكلم بالذى اراد وغير بلال فانه هانت عليه نفسه فتركوه وقال خباب لقد اوقدوا لى
نارا ما اطفاها الا ودك ظهرى قال الامام قوله تعالى فعليهم غضب معناه انه تعالى
حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم
من جرمه يعني ان الغضب لكونه من الكيفيات النفسانية المستحيلة في حقه
تعالى يراد غايته وهي العذاب فيكون فائدة قوله ولهم عذاب عظيم بوصف
ذلك العذاب بالعظم قوله اى الكافرون في علمه فالمعنى انه تعالى لا يهدى الى
ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصم عن الزيغ والميل عن الحق من علم الله انه يختار الكفر
وان يموت عليه واذا وكل واحد من الايثار الامور الدنيوية وعدم هداية الله
تعالى الى ما يوجب الثبات على الحق سببا للكفر بعد تبين الحق وقبوله كان سببا
لما يترتب عليه من العذاب العظيم ثم انه تعالى بين طريق عدم هدايتهم الى ما يوجب
الثبات على الحق بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اى خلق في قلوبهم ومشاعرهم
ما يمنع عن ادراك الحق وقوله فصارت بذلك كانها قد طبع عليها حقيقة فان القلوب
والمشاعر لا تقبل حقيقة الطبع ثم وصفهم بكمال الغفلة حيث قصر حقيقة الغفلة عليهم
بحيث لا يتجاوزهم الى غيرهم وذلك انما يكون بكونهم كاملين في الغفلة بحيث لا يعد غفلة
غيرهم غفلة في جنب غفلتهم فان من اتصف بما ذكر من الاستحقاق بغضب الله وعذابه
العظيم وايثار الحيوة الدنيا على حيوة الاخرة والحرمان عن هداية الله تعالى وكونه مطبوعا
على قلبه ومشاعرهم ثم غفل عما يراد به من العذاب الشديد الدائم في الاخرة يكون غفلته
اشد واكمل ويكون عن الطاعات وتحصيل اسباب السعادات الابدية ابعد فلا جرم
يكون في الاخرة اخسر ثم انه تعالى ذكر حال من كفر بالله بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر
فاظهر الكفر حذرا عن الهلاك ذكر بعده حال من اظهر الكفر مكرها اذا هاجر عن الموضع الذى
استضعفه المشركون فيه وهاجر عما نهى الله وكذا المراد بالجهاد مخالفة النفس والهوى
لان السورة مكية والهجرة الى المدينة وجهاد الكفار لم يفرضا حين نزول هذه السورة
الا ان يقال هذه الاية مخصوصة مدنية وجاهدوا وصبروا وحال من آذى المسلمين واكرههم
وحملهم على الارتداد عن الدين في قوله بعد ما فتنوا فقال ان ربك للذين هاجروا الاية
قوله بالولاية والنصر اشارة الى قوله تعالى للذين هاجروا خبران كما تقول ان زيدا لك اى
هو لك لا عليك فناصرك لا خاذلك قوله تجادل عن نفسها اشارة الى ان النفس الثانية عبارة
عن ذات الشخص وعينه وحقيقته والنفس الاولى عن جسد الشخص وجملته

Copyright © King Saud University